

الحجاج بالمغالطة "بخلاء الجاحظ أنموذجا"

The pilgrims fallacy" Bakhla Al-Jahiz as a model"

د.سليمة محفوظي salima mahfoudi

جامعة محمد الشريف مساعديّة سوق أهراس

Salima.mahfoudi66@gmail.com

ملخص: يقوم الحجاج المغالطي على المقايضة الخاطئة والتي تسبب في عيوب بنيوية أثناء تأسيس المحاجة ففي كثير من الأحيان يصدر الخطاب عن تمويه في صورة مقدمات وهمية إما شبيهة بالحقيقة لكنها غير ذلك أو شبيهة بالمشهور دون أن تكون كذلك ،وقد ميّز أرسطو في التبكيّات السفسطائية، التبكيّات الحقيقية عن تلك التي "ليس لها إلا المظهر، تلك التي توهم أنها صميّة والحال أنها ليست كذلك ويقرب أرسطو المسألة فيمثل لها بأمثلة عديدة، فالتبكيّات الصميّة تتميز عن الزائفة بميّز الجمال الحقيقي عن ذلك الذي ليس له من الجمال إلا ما يُزيّن به نفسه فإذا زالت عنه الزينة لم تجد له في الجمال نسبا كذلك فإن الذهب والفضة منها ما هو حقيقيّ ومنها ما هو غير ذلك ولا يُميّز بينهما إلاّ الخبير بالمعادن"¹ وكذلك القياسات منها ما هو صحيح ومنها ما هو فاسد ولا يفرق بينهما إلاّ العارف بأصول القول.

ومن هنا أضحي من اللازم الكشف عن مفهوم المغالطة من منظور حجاجي، مع تبيان أنواع المغالطات وكيفية بنائها وترتيبها وتفسير بنياتها في الخطاب وذلك من خلال بعض النماذج المختارة من بخلاء الجاحظ.

كلمات مفتاحية: الحجاج، المغالطة، البخلاء، التبكيّات، المحاجج

Abstract:

L'argumentation parle fallacies se construit sur de fausses règles c'est pourquoi elle mène vert des raisonnements erronée ainsi L'œuvre d'Aristote contient plusieurs moutures de la théorie desparalogismes. Celle qui a sans doute connu la postérité la plus grande est celle des Réfutations sophistiques. L'ouvrage fait partie des textes les plus anciens d'Aristote, et peut être considéré comme un premier pas, sur un chemin qui mène à l'invention du syllogisme, vers la construction d'une théorie logique capable de rendre compte des échanges sophistiques, Certaines argumentations reposent sur des techniques d'exploitation du flou et de l'ambiguïté de la langue

naturelle. La notion de transformation argumentative permet d'exposer ce flou, et même inacceptable.

Cet article est simplement descriptif, visant à travers des modèles représentatifs d'Al-Bukhala, al-Jahiz a démontré que l'argumentation par "fallacies" ne se pose pas sur des bases fixes

Keywords: argument; fallacies; ; modèles; L'ouvrage; erronée

1. مقدمة:

ارتبط مفهوم المغالطة (fallacies) بالحركة السفسطائية وهي حركة فكرية واجتماعية نشأت وترعرعت في اليونان القديمة خلال القرن الخامس قبل الميلاد، ورفعت شعار "الإنسان مقياس كل شيء ودافعت عن نسبية الحقيقة وارتباطها بالظروف المتغيرة، فانتهت إلى التأكيد على أهمية اللجوء للحل الخطابية والألاعيب القولية لتحقيق المصالح الشخصية"¹.

لم يكتف السفسطائيون بممارسة السفسطة وحدهم، بل تمكنوا من إقناع صفوة المجتمع آنذاك بضرورة تلقي دروس في هذا المجال إن كانوا يرغبون في تحقيق مصالح اجتماعية وسياسية واقتصادية، فتمكنوا بفضل ذلك من جمع ثروات عظيمة. ومن أشهر السفسطائيين الذين برعوا في مجال القول البليغ نذكر "كوراكس" Corax و"تيسياس" Tisias و"جورجياس" Gorgias².

اهتم أرسطو بالمغالطة التي اعتمدها السفسطائيون في بناء خطابهم "بغية التّمويه وبعث الشك والريبة في أذهان المستمعين وقد كشف عن مغالطتهم اللغوية وهي ست: الغموض والاشتباه والترتيب المبهم للكلمات و القسمة المهمة للكلمات والشكل الخاطئ وصورة التعبير المستخدم وهي تحدث الوهم في القول واللفظ"³ وهذه المغالطات اللغوية تقوم على ركوب الملتبس في الخطاب الذي يتحوّل إلى فتنة وإغراء... فمن المواضيع التي يعتمدها السفسطائي أحيانا في بناء حججه موضع المصادرة على المطلوب pétition de principe واعتبرها أرسطو من أكبر الأخطاء في بناء القياس وهو خطأ يتمثل في أن يجعل القائس المطلوب نفسه مقدمة في قياس يراد فيه إنتاجه فهو ضرب ممن الدور⁴ وبين في

كتاب "التبكيئات السفسطائية أن المغالطات بعضها يتعلق بالخطاب وبعضها الآخر من خارجه"⁵

ومن هنا فإن هذا البحث يسعى للكشف على بعض أنواع المغالطات التي يلجأ إليها المحاج لتميرير فكرته، كما يهدف إلى تسليط الضوء على مدى نجاعة هذه الحجج المغالطية.

المغالطات و تأثيرها على صيرورة الحجاج

2-السفسطة لغة واصطلاحا

عرّف معجم تحليل الخطاب ل"باتريك شارودو (Patrick charoud) ودومينيك مانغونو (Dominiek Mangono) السفسطة Sophisme: الخطاب المحرج والكاذب والمتلاعب الذي يخدم مصالح صاحبه وأهوائه⁶ كما نجد في نفس اللغة مصطلح Paralogisme الذي تمّ استعماله من قبل فريق الترجمة الفرنسية مقابل المصطلح الانجليزي Falacy وهو مصطلح من أصل لاتيني Fallacia يعني:المغالطة، والمكر والخداع والحيلة. وهو يتكون من جزئين Para وتعني Faux-à coté و Logismos وتعني Calcul-raisonnement وهي تعني حجاجا خاطئا⁷ وقد ميّز Kristian Plantan كريستان بلانتان بين مصطلح Sophisme مصطلح Paralogisme حيث يرى أن Le Paralogisme يكون الخطأ فيه بحسن نية أما في Sophisme يكون فيه الخطأ متعمدا⁸.

نقرأ في لسان العرب لابن منظور: "المغالطة من غالطه مُغالطة ويقال المغلطة و الأغلوطة: الكلام الذي يغلط فيه ويغالط به، ومنه قولهم: حدثته حديثا ليس بالأغاليط. والتغليط: أن تقول للرجل غلطت. والمغلطة والأغلوطة: ما يغالط به من المسائل، والجمع الأغاليط... والأغلوطات... ويقال مسألة غلوط إذا كان يغلط فيها"⁹ أما الجرجاني فيعرّفها في كتاب "التعريفات" بأنها: "قياس فاسد إمّا من جهة الصّورة أو من جهة المادة أما من جهة الصّورة فألا تكون على هيئة منتجة لاختلال شرط، بحسب الكيفيّة، أو الكميّة أو الجهة كما إذا كان كبرى الشكل الأول جزئية، أو صغراه سالبة أو ممكنة، وأما من جهة المادة فبأن يكون المطلوب وبعض مقدماته شيئا واحدا وهو المصادرة على المطلوب كقولنا: كلّ إنسان بشر، وكلّ بشر ضحّاك فكلّ إنسان ضحّاك [...] و قيل المغالطة: مركبة من مقدمات شبيهة بالحق، ولا يكون حقا ويسمى سفسطة أو شبيهة بالمقدمات المشهورة

وتسمى مشاغبة. وهي أيضا: قول مؤلف من قضايا شبيهة بالقطيعة أو الظنية أو بالمشهورة.¹⁰

كما اهتم ابن رشد بمسألة المغالطات وتجلى ذلك من خلال ترجمته لأثار أرسطو والتي احتوت كتاب المغالطة، حيث عرّف المغالطة على أنها "القياس الذي يلزم عنه نتيجة هينقيض النتيجة التي وضعها المخاطب"¹¹ مرجعا ذلك إلى محدودية الألفاظ وتعدد المعاني.

أما الفارابي فقد أرجع "أسباب تمرير المغالطات بين المتحاورين إلى الجهل بالنظريتين اللتين وضعهما أرسطو سواء في القياس أو في الجدل بالإضافة إلى عدم القدرة على تحديد الأجزاء كالمقدمات والحدود والجهل وعدم تمييز القوى الأربع (الآلات الجدلية الأربعة: آلة الاقتضاب، آلة القدرة على تمييز الاشتراك، آلة القدرة على تمييز الفضول، آلة القدرة على إدراك التشابه)"¹²

حضيت هذه التقنية الخطابية باهتمام النقاد القدامى فمنهم من أجازها باعتبارها وسيلة لغوية يتوسل بها المتكلم أو الشاعر استمالة المتلقي ومنهم من رفضها لأنها صورة من صور الخداع والكذب فقد "أجمعت العلماء وذو العقول من القدماء على تعظيم من أفصح حجته وبين عن حقه، واستنقص من عجز عن إيضاح حجته، وقصر عن القيام لحجته"¹³

3- أنواع المغالطات

3.1- الالتباس في المعنى: إن التعدد الدلالي سمة من سمات ثراء اللغة العربية، فقد جاء في كتاب البيان والتبيين في باب البيان قول الجاحظ (ت255هـ): "و على قدر وضوح الدلالة و صواب الإشارة، و حسن الاختصار، و دقة المدخل يكون إظهار المعنى، و كلما كانت الدلالة أوضح و أفصح، و كانت الإشارة أبين و أنور، كان أنفع و أنجع، و الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله - عز وجل - يمدحه و يدعو إليه و يحث عليه، بذلك نطق القرآن، و بذلك تفاخرت العرب، و تفاضلت أصناف العجم"¹³ ويبين عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) أن الغاية من النظم "ليس بنظم الكلم أن توالى

ألفاظه في النطق، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل.¹⁴

أما ابن خلدون (ت808هـ) الذي أولى أهمية كبيرة للدرس اللغوي الدلالي بصورة مستقلة عن باقي العلوم الأخرى، يقول في مجال التعلم: "وهو معرفة الألفاظ ودلالاتها على المعاني الذهنية... فلا بد أيها المتعلم من مجاوزتك هذه الحجب كلها إلى الفكر في طلبك دلالة الكتابة المرصوفة على الألفاظ المقولة على المعاني المطلوبة ثم القوانين في ترتيب المعاني للاستدلال في قوالها المعروفة في صناعة المنطق"¹⁵ يمكن القول أن الدراسات القديمة أولت المغالطات أهميّة كبيرة لما لها من التأثير في تمرير الأفكار وخاصة فيما يتعلق بالخطاب السياسي أو الخطاب الديني لأنهما الأكثر تداولاً في ذلك الوقت.

استثمر الجاحظ الالتباس الدلالي كلما أراد أن ينحرف بالمعنى عن أصل موضعه ومن النصوص التي لا تخلو من المغالطات الدلالية النوادر التي جمعها الجاحظ في كتاب البخلاء ويمكن أن نمثل بما جاء في نادرة "أهل خراسان" اذ يقول: "وحدثني عمرو بن نهيو قال: تغديت يوماً عند الكندي، فدخل عليه رجل كان له جاراً وكان لي صديقاً، فلم يعرض عليه الطعام ونحن نأكل و. كان أبخل من خلق الله. قال: فاستحييت منه، فقلت: سبحان الله! لو دنوت فأصبت معنا مما نأكل قال: قد والله فعلت. فقال الكندي ما بعد الله شيء. قال عمرو: فكشفه والله، كتفا لا يستطيع معه قبضاً ولا بسطاً، وتركه ولو مدّ يده لكان كافراً أو لكان جعل مع الله جلّ ذكره شيئاً."¹⁶ نلاحظ كيف لعب الالتباس الدلالي دوراً في حرمان الرجل من المشاركة في الأكل، فقلوه (قد والله فعلت) قصد من خلالها الاستجابة إلى الدعوى في حين ألبسها الطرف الآخر -الكندي- مفهوماً مغايراً للمعنى الذي رامه المتكلم، ويصير الرهان على كفاية المتلقي التأويلية، لفهم المعنى المقصود، والدعوة الصريحة إلى التأويل "فالملفوظ الحجاجي محفوف بالغموض، لأنه يقوم على تعدد الدلالات والتأويلات"¹⁷ مما يستدعي تعاون المتلقي للكشف عنها، ويكون من ثمة، الرهان على كفاءاته اللسانية والثقافية، والإيديولوجية، حتى يرسو عند المعنى المقصود، لأن "معرفة الطابع البلاغي للملفوظ ما يمر، بالضرورة عبر مصفاة الكفاءة الموسوعية"¹⁸ والجاحظ يعوّل كثيراً

على قدرة المتلقي في الوصول إلى المعنى المقصود، بل يحثه على إمعان العقل لفك دلالات الألفاظ .

ومن صور الالتباس الدلالي ما ورد على لسان المروزي "الذي قال للزائر اذا أتاه، وللجليس اذا أطل جلوسه: تغديت اليوم؟ فان قال نعم، قال: لو أنك تغديت لغديتك بغداء طيب، وان قال: لا، قال: لو كنت تغديت لسقيتك خمسة أقداح فلا يصير في يده على الوجهين قليل ولا كثير"¹⁹.

حرص المروزي على استخدام كلمات معينة من قبيل "لو أنك تغديت لغديتك بغداء طيب" و"لو كنت تغديت لسقيتك خمسة أقداح" وذلك لخلق نوعا من الغموض والالتباس لأن "قصور اللغة عن الإحاطة بالمعاني أفرز مجالا واسعا لاستغلالها بطرق غير شرعية ذلك أن اللفظ الواحد قد يدل على أكثر من معنى فيستغل السفسطائي هذا القصور للعب على هذه الخاصية ليتنصل من بعض ما أدلى به أو يوهم أن المخاطب قد قصد أمورا معينة وذلك بالوجه الذي يفيد مقاصده"²⁰ فالتعظيم اللغوي يؤدي عادة إلى سوء الفهم، والتشويش على فكر المتلقي، مما ينجم عنه الشبهة وقصور الفصل في الأمور المطروحة للنقاش أو البحث.

3.2- المغالطة بالاستدلال:

كل الأدوات الإجرائية تنشغل بسؤال البلاغة الذي يبحث في الخطاب من منظور الأثر الذي يحدثه في المتلقي وكيفية تحققه، فتتخذ منارة إلهام تصويب الأفكار، فالبلاغة تدمج في رؤيتها للخطاب أبعادا كثيرة، باعتباره نتاجا لتفاعلات المقام الذي يمثل تربته التي نشأ فيها، فتتعامل معه كيانا حيا ووحدة عضوية لا انفصال بين مكوناتها.

وقد بين الجرجاني أن "المصادرة على المطلوب هي التي تجعل النتيجة جزء القياس، أو يلزم النتيجة من جزء القياس كقولنا الإنسان بشر، وكل بشر ضحّاك، ينتج أن الإنسان ضحّاك فالكبرى ها هنا والمطلوب شيء واحد إذ البشر والإنسان مترادفان وهو اتحاد

المفهوم فيكون الكبرى والنتيجة شيئاً واحداً.²¹ هذا يعني أنّ المغالط يستخدم مقدّمة تحوي ضمناً المطلوب إثباته ثمّ منها يستنتج ما يريد أن يثبته، فهي على هذا نوع من أنواع الاستدلال الدائري. وقد ورد هذا النوع من الاستدلال بصورة مكثفة في بخلاء الجاحظ من ذلك قصة أهل البصرة من المسجدين حيث اندفع شيخ منهم فقال: اشتكيت أياماً من صدري، فأمرني قوم بالفانيد السكري, وأشار عليّ آخرون بماء النخالة فأخسّه حاراً، فحسوتُ، فإذا هو طيب جداً،... فقلت للعجوز: لم لا تطبخين لعيالنا في كلّ غداة نخالة؟ فإنّ ماءها جلاء للصدر وقتها غذاء وعصمة، ثم تجففين بعدّ النخالة، فتعود كما كانت، فتبيعينه إذا اجتمع بمثل الثمن الأول. نكون قد ربحنا فضل ما بين الحالين²²

جاءت الحجة التي أوردتها الشيخ على النحو التالي:

المقدمة الكبرى: ماء النخالة شفاء وغذاء

المقدمة الصغرى: حسوته فشفيت من مرضي أبعد عني الجوع

النتيجة: النخالة دواء وغذاء غير مكلف

أكدّ جون ستيوارت ميل أن "جميع صور الاستدلال الاستنباطي ترتكب مصادرة على المطلوب"²³ والعامل الوحيد "الذي يمكنه أن يحسم اللبس هو السّياق التّداولي الذي يرد فيه الكلام فإذا لم ينجح المحاور في إقناع الطرف الآخر بالقضية التي عرضها اعتبرت القضية مغالطة وإذا حدث الإقناع كانت الحجّة منطقية"²⁴

3.3- العنف اللفظي:

نمثّل لهذا الأسلوب بما ورد على لسان "سهل بن هارون" في حق "محمد بن زياد من آل تميم" حيث قال: "يا معشر بني تميم لا تسرعوا إلى الفتنة، فإنّ أسرع الناس إلى القتال أقلّهم حياء من الفرار، وقد كانوا يقولون: إذا أردت أن ترى العيوب جمّة فتأمل عياباً، فإنه إنّما يعيب بفضل ما فيه من العيب، وقبيح أن تنهى عن مرشد أو تغري بمشفق، وما أردت بما قلنا إلا هدايتكم وتقويمكم، وإلا إصلاح فسادكم...."²⁵

يحمل الخطاب الذي وجهه المتكلّم "سهل بن هارون لمحمد بن زياد" عنفا صريحا، واتّهما واضحا كونهم أصحاب فتنة وعيوبهم لا تحصى ولا تعد وفسادهم ظاهر للعيان. فالمتكلم مارس العنف اللفظي ليتمكن من التقليل من شأن الخصم والتغلب عليه

وذلك من خلال مهاجمته ورد حججه "إن الحجاج بالقوة هو حجاج يسعى صاحبه إلى حمل المخاطب إلى سلوك معين أو على عمل معين [...] يستند إلى التهديد و يستمد منه الحجة وعلى أساسه يسهل الاقتناع الذي يتخذ في نهاية الأمر شكل الاستسلام"²⁶ هذه الحجة تركز على تغيير سلوك الخصم وفق ما يخدم مصلحة المتكلم، دون مراعاة لمشاعر المتلقي أو رغباته أو معتقداته، "فهذه الحجة تحمل في صميمها فكرة القوة تصنع الحق، وهي مغالطة لأن التهديد يعمل على مستوى دافعي مغاير لمستوى القناعة الفكرية"²⁷ فالعنف أو التهديد قد يجبر المتلقي على تغيير سلوكه أو آراءه ولكن لوقت معين فقط ولفترة محدودة، لأن المتلقي لم يقتنع بضرورة التغيير إنما أُجبر على ذلك.

3.4- المغالطة بالشخص وأعماله:

تتحول أفعال الشخص أو الإنسان حجة في حد ذاتها، ذلك أن مفهوم الإنسان ومفهوم عمله مفهومان مترابطان لا فكاك لأحدهما عن الآخر²⁸ فالفعل هو ما يكشف لنا مكنون الشخص و قيمته، ولهذا فإن معرفة النتائج التي توصل اليها الفرد تدفع بالسامع إلى الانقياد والاعجاب، ومن شأن هذا النوع من المغالطة أن يحث السامع وينشطه، "والواقع أن هذه الحجة كثيرة الشيوخ ثابتة الطاقة الحجاجية فإذا أردنا دفعها بخطاب معارض أتينا بأحداث تفندنا"²⁹ وتتضح هذه المغالطة من خلال قصة "مريم الصّناع" التي أصبحت محل اعجاب العام والخاص حيث يروي أحد الشيوخ فقال: هل شعرت بموت مرم الصّناع؟ فإنها كانت من ذات الاقتصاد، وصاحبة اصلاح قالوا: فحدثنا عنها .

قال: وما هي؟ قال: زوّجت ابنتها هي بنت اثني عشرة سنة فحلّتها الذهب الفضة وكسّتها المرويّ والوشّي.....ورفعت من قدرها عند الأحماء. فقال لها زوجها أني لك هذا ا مريم؟ قالت هو من عند الله قال دعي الجملة وهات التفسير، والله ما كنت ذا مال قديما ولا رثته حديثا قالت: اعلم أني منذ يوم ولدتها كنت أرفع من دقيق كل عجنة حفنه، فاذا اجتمع من ذلك مكوّك بعته قالزوجها: ثبتّ الله رأيك وأرشدك.....فنهض القوم بأجمعهم الى جنازتها، وصلوا عليها. ثم انكفأوا إلى زوجها فعزّوه على مصيبتة. وشاركوه حزنه."³⁰

تحوّلت "مريم الصّناع" من امرأة شديدة البخل إلى نموذج يقتدى به في حسن التدبير، وما كان لهذا الأمر أن يستقيم على هذا النّحو لولا طريقة تلقي القوم للخبر، معنى هذا أن النموذج أو المثال يمكن أن يكون له طرائق متعددة في الاستقبال تختلف باختلاف المتلقين، فهذه القصة تأخذ منحنيين مختلفين فهي عند بعضهم مُدبرة ناجحة وعند الآخر محل سخرية واستهزاء وهنا تكمن المغالطة.

3.5-المغالطة بالأقوال

يمثل الشّاهد الجنس الثّاني من الحجج التي يعتبرها أرسطو ركيزة من ركائز الحجاج، ولا يخلو الخطاب الحجاجي من شواهد تدعم أطروحته، وتعدّ حجة السّلطة من الحجج التي تنتمي إلى صنف الحجج القائمة على بنية الواقع وهي "كثيرة الشّيع ثابته الطّاقة الحجاجية"³¹ لا سيّما في خطاب الأخلاق والعادات والتّقاليد. وقد تناول أرسطو أنواع الشّاهد وذكر "الشّاهد التّاريخي والشّاهد الشّعري والشّاهد الاحتمالي، ويّن أن الشّاهد التّاريخي هو الذي يعتمد على الحقيقة ولذلك يعتبر الأكثر إثارة للتّصديق أما الشّاهد المبتكر فيقوم على تخيل شبيه مماثل للحالة المطروحة للنقاش"³² -وهو ما يعرف بالتمثيل- وقد خالف بيرلمان ما جاء به أرسطو واعتبر "الشّاهد قولاً أو تجربة أو معرفة والذي يوحد هذه المتغيّرات الثلاث هو مصدرها الحقيقي"³³ فالاحتكام للواقع يساعد على استمالة المتلقي وإقناعه.

واعتبر الشّاهد في الخطابة العربيّة ركيزة أساسية يتوسل بها الخطيب إقناع المستمع، فقلما يخلو خطاباً من تضمين لآيات قرآنية أو مثل أو حكمة أو شعر باعتبارها "حجج جاهزة تكتسب قوتها من مصدرها ومن مصادقة النّاس عليها وتواترها"³⁴ بيد أن مثل هذا النوع من الحجج قد "يتخذ أشكالاً استعبادية ويقتل القدرة على الخلق والابتكار لدى صاحبه، مادام يجعله يقف عند مستوى ما يقوله القول المستشهد به دون أن يُسأله أو يعمل على تجاوزه"³⁵ ومن ذلك ما ورد في "قصة أبي عيّنة" وبخله الشديد فقد حدث جعفر ابن أخت واصل قال: قلت لأبي عيّنة: قد أحسن الذي سألت امرأته عن اللحم، فقالت أكله السنور، فوزن السنور، ثم قال: هذا اللحم فأين السنور؟ قال وكأنك تعرّض بي قال، قلت: إنك والله أهل ذلك. شيخ قد قارب المائة، وغلته فاضلة، وعياله قليل، وأنت

رجل لك في البستان ، ورجل في أصحاب الفسيل، ورجل في السوق....تطلب من هذا وقر
جصّ ،ومن هذا قطعة ساج، ومن هذا كذا، ما هذا الحرص؟ قال :وأما ما لمّني عليه
فإنما ذهبت إلى قوله: لو أن في يدي فسيلة ثم قيل لي إنّ القيامة تقوم الساعة، لبادرتها
فغرستها ،وقد قال أبو الدرداء في وجعه الذي مات فيه: زوّجوني فاني أكره أن ألقى الله
عزبا ،والعرب تقول : "من على دماغه في الصيف غلت قدره في الشتاء" وقال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه: "إياكم والرّاحة، فإنها عُقلة" وقال اكنم بن صيفي
"ما أحب أني مكفيّ كل أمر الدنيا" أفتراني أدع وصايا الأنبياء وقول الخلفاء وتأديب
العرب

وأخذ بقولك " 36.

يرغب المتكلم في حث المتلقي على المقارنة بين الحالات المتشابهة وذلك من خلال توظيف
الشواهد التي يسلّم بها المتلقي وتدخل في المروث الجمعي، و ما كانت هذه الشواهد لتمرر
بسهولة لولا السّلطة التي تتمتع بها وهي سلطة فوقية، تجبر المخاطب على فعل شيء أو
تركه.

3.6-الاستفهام المغالطي

يعتبر السّؤال من الأساليب التي "تثير الإشكال في ذهن السّامع حتّى يتمثل عناصر المسألة
ومواطن الخلاف وفي الاستفهام تبكيت للسّامع وقياس مغالطة"³⁶ من ذلك قصة أحمد بن
خلف الذي كان لا يفارق إخوانه، واخوانه يدلّونه ويفكّهونه ولم يشكوا أنه سيدعوهم
مرّة، وإن يجعلوا بيته نُزهة ونشوة ولما طال تغافله وطالت مُدافعته، وعرضوا له بذلك
فتغافل ،فصرّحوا له، قالوا: اجعلها دعوة ليس لها أخت،....فاتخذ لهم طُعِما خفيفا شهيا
مليحا ،لا ثمن له ،فلما أكلوا وغسلوا أيديهم ،أقبل عليهم فقال :أسألکم بالذي لا شيئا
عظم منه ،أنا السّاعة أيسر وأغنى أو قَبْل أن تأكلوا طعامي؟ قالوا: ما نَشْكُ أنك-حين كنت
والطعام في ملكك-أغنى وأيسر، قال :فأنا السّاعة أقرب إلى الفقر ،أم تلك السّاعة؟
قالوا :بل أنت السّاعة أقرب إلى الفقر، قال :فمن يلومني على دعوة قوم قَرّبوني من الفقر
وباعدوني من الغنى، وكلّما دعوتهم أكثر،كنت من الفقر أقرب ومن الغنى أبعد؟"³⁷

في هذه القصة تغلب صيغ الافتراض عبر التركيب التلازمي الشرطي وهو من أساليب بناء الأطروحة وعرض الفكرة ثم يرد أسلوب الاستفهام " فمن يلومني على دعوة قوم قريّوني ؟.." "أنا السّاعة أيسرُ وأغنى أو قَبْل أن تأكلوا طعامي؟ وهو من أساليب الحجاج التي تثير الإشكال في ذهن السامع حتّى يتمثل عناصر المسألة ومواطن الخلاف وفي الاستفهام قياس مغالطة يمكن التمثل له على النحو التالي:

مقدمة كبرى: كلّ من يستضيف القوم يقترب من الفقر

مقدمة صغرى: دعوتكم فنقص مالي

النتيجة: استضافة القوم تقرب من الفقر

الملاحظ أن القياس في هذه القصة، يتجاوز مستوى الجملة ليشمل النص، ليتخذ السؤال بهذا صيغة نصية ناتجة "عن توليف بين مكونات مختلفة، تتعلق بمقام ذي هدف إقناعي، فهذا النص كله أو بعضه، سيكون بالإمكان ظهوره في شكل حوار³⁸. نحو قوله: "أسألكم بالذي لا شيئاً عظم منه..... ، أنا السّاعة أيسرُ وأغنى أو قَبْل أن تأكلوا طعامي؟ قالوا: ما نَشْكُ أنك-حين كنت والطعام في ملكك-أغنى وأيسر..". يتبين من خلال هذا المثال أن السّؤال المغالطي قد يربك المتلقي ويفرض على المتلقي الاتجاه نحو المسار الذي حدده المتكلم سلفاً.

3.7- مغالطة إدماج الكلّ في الجزء:

تقوم قاعدة هذه الحجّة كما هو واضح من اسمها على اعتبار أن جميع ما يصدق على الجزء يصدق على المجموع و"تكون العلاقة في إدماج الجزء في الكلّ منظوراً إليها عادةً من زاوية كمية، فالكل يحتوي الجزء، وتبعاً لذلك فهو أهم منه"³⁹ ولكن ما يقال عن الجزء قد لا يعبر بالضرورة عن الكلّ. ونقف على ملمح منها من ذلك ما جاء على لسان ثمامة فقال: "لم أر الديك ف بلدة قطّ إلّا وهو لافط ، يأخذ بمنقاره ، ثم يلفظها قُدّام الدّجاجة ، إلّا ديكة مرو، فإنّي رأيت دكة مرو تسلب الدّجاج ما في مناقيرها من الحبّ. قال: فعلمتُ أنّ بخلهم شيء في طبع البلاد وفي جواهر الماء، فمن ثمّ عمّ جميع حيوانهم."⁴⁰

أخذ المتكلم عينة واحدة وعمّمها على الكلّ لينسحب القول على جميع حيوانات أهل مرو وبالتالي يوهّم المتلقي أن كلّ حيوانات تلك البلاد بخيلة، وهي من المغالطات التي عادة

ما يلجأ إليها المتكلم ليعمم الحكم، وهذا الصنف من المغالطات مقنعا في ظاهره لكن في حقيقة الأمر أن الأجزاء لا تعبر دائما عن الكلّ

ويمكن أن نستدل أيضا على هذا النوع من المغالطات المبطنة ماورد في القصة التي رواها "أحمد بن رشيد" قال: "كنت عند شيخ من أهل مرو، وصبي له صغير يلعب بين يديه، فقلت له، إما عابثا وإما ممتحنا: أطعمني من خبزكم، قال لا تريده، ه مرّ فقلت: فاسقني من مائكم، قال: لا تريده، هو مالح، قلت: هات لي من كذا وكذا، قال: لا تريده هو كذا وكذا.... فضحك أبوه وقال: ما ذنبنا؟ هذا من علمه ما تسمع! يعني أنّ البخل طبع فيهم وفي أعراقهم وطينتهم".⁴¹

يحاول المحاج اقناع المتلقي "أنّ حكما ما، ينطبق على جزء من أجزائه ينطبق تبعا لذلك على الكلّ"⁴² وهي من المغالطات التي لا يمكن الانتباه إليها إلا إذا كان المتلقي على دراية تامة بموضوع الحديث، لأنّ المتكلم يجزأ الحكم ثم يعممه وهنا تكمن المغالطة.

فكانت نتيجةها أن البخل طبع في أهل مرو وفي أعراقهم وطينتهم وهي طبعا مغالطة، فلا تتصور أن البخل صار القاسم المشترك بين أهل مرو وحيواناتهم وطينتهم ولكن المحاج يحاول الالتفاف حول الموضوع.

3.8- مغالطة رجل القش

يلجأ المحاج إلى دحض حجج الخصم من خلال اعتماده "إستراتيجية متنوّعة ومن ذلك أن يتعمّد تهوين الحجج المقابل، ولك بإعادة بنائه على نحو يصير من اليسير نقضه وبيان تهافته فيمسي صاحب الأطروحة المقابلة كرجل القش الذي يتهاوى سريعا"⁴³ من ذلك ما ورد في رسالة "سهل بن هارون"

حين أراد ان يقلل من شأن خصمه المعتدل في السرف والتبذير وينقض عليه ليبطل حججه فقال: "وعبتم عليّ قولي: من لم يتعرف مواقع السرف في الموجود الرخيص لم يعرف مواقع الاقتصاد في الممتنع الغالي، فقد أتيت من ماء الوضوء بكيلة بدل حجمها عن

مبلغ الكفاية، أشف من الكفاية، فلما صرت الى تفريق أجزائه على الأعضاء وإلى التوفير عليها من وظيفة الماء، وجدت في الاعضاء فضلا على الماء..... فبعموني بذلك وشنعموه بجهدكم وقبحتموه. وقد قال الحسن عند ذكر السرف: إنه ليكون في الماعونين: الماء والكلأ فلم يرض بلك في الماء، حتى أردفه بالكلأ..⁴⁴

نلاحظ كيف يقوم بتحريف كلام محاوره، ويقتطع منه عن قصد، ويؤول ما لا يحتمل التأويل و ينسبُه إلى خصمه، فيرد على هذا الكلام (المحرّف، المقتطع أو المنسوب إلى المحاور) بدل أن يردّ على الكلام الحقيقي. ومنه أخذت المغالطة اسم "رجل القش" فكأن الخصم يصنع فزاعة من القش ويهاجمها بدل مهاجمة شخص حقيقي.

4-الخاتمة

يتمثل الحجاج في تقديم البراهين والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة ، وهو يتمثل في انجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب تفضي إلى إثبات صدقه والتأكد من يقينته واقتناع المستمعين، وينبغي التمييز بين الحجاج المبني على قواعد وأسس سليمة والحجاج المغالطي الذي يقوم على مقدمات خاطئة واستنتاجات ضعيفة ويترتب عنه نتائج غير سليمة . و المغالطة هي شكل من أشكال الحجاج الباطل ومن القياس الناقص، الذي يؤدي إلى خلل في بناء الاستدلال في مستوى صيغته المنطقية وفي ترتيب المقدمات وفي استخلاص النتائج وفي إصابة الحد الأوسط بحيث تصبح العملية التفكيرية غير مستقيمة وتسقط التجربة اللغوية برمتها في الرعونة .

في هذا الإطار يتنزل البحث في فن المغالطة بما هو بناء استدلال يبدو في الظاهر متماسكا ومشروعا ولكنه في الواقع مختل من جهة صياغته المنطقية والغرض من هذا التلاعب هو الإيقاع في الخطأ وخداع الآخرين. والمغالطة paralogisme هو فعل مضاد للقياس المنطقي يحاول فيه المتكلم أن يبرهن على وجهة رأيه .

و المغالطة هي التفكير باستعمال المكر والغدر والاحتيال مع دراية بالقوانين المنطقية والتفنن في استعمالها من أجل إنتاج الكذب وإيقاع الآخر في الزيف وقلب الحقيقة إلى وهم

وتتعمد إيجاد الإقناع عن طريق الإبهام والدهشة واستخراج الحقيقة من الإحراج والمعضلة التي يقع فيهما المحاور .

وعليه فالمغالطة تقوم على منطق تضليلي لأنها ناتجة عن إرادة نحو الخطأ ورغبة في التزييف. كما تركز المغالطة على محرك التغليب والذي يفيد التفنن في إنتاج ما هو مخادع وصناعة ما هو ظني من الكلام بغية إقناع المستمع والتأثير في الغير. من هذا المنطلق يتم استعمال القياسات الكاذبة لغايات بيداغوجية تعليمية ولغايات اجتماعية مثل الهيمنة وكسب المنافع المادية .

على هذا النحو ينبغي التمييز بين البراهين الصحيحة والمغالطات وذلك من خلال التعرف على أنواع المغالطات والكشف عن الأقيسة الفاسدة .

المصادر والمراجع

- 1- ابن رشد محمد بن أحمد بن محمد، كتاب السفسطة، ضمن كتاب تلخيص منطق أرسطو: تحقيق: جبرار جهامي، بيروت، المجلد 2، 1986 .
- 2- باتريك شارودو ودومنيك منغونو، معجم تحليل الخطاب ،تر:عبد القادر المهيري وحمادي صمود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008،.
- 3- باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب ،تر: أحمد الوردني . 16
- 4- الجاحظ، البيان و التبیین، تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان/ (د-ت) ج.1
- 5- الجاحظ، البخلاء تح: طه الحاجري، دار المعارف، ط7، 1990 .
- 6- حمو النقاري، من منطق مدرسة بوررويال في سوء النظر والتناظر ووجوه الغلط والتغليب فيهما، ضمن كتاب التحاج طبيعته ومجالاته، منشورات كلية الآداب، الرباط، المغرب.
- 7- رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، دار الكتب الجديدة المتحدة، ط1، 2010.
- 8- رشيد الراضي، السفسطات في المنطق المعاصرة، التوجه التداولي الجدلي: ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، 2010.

- 9- سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه ، عالم الكتب الحديث، 2008، اربد، الأردن، ط1، 2008 م.
- 10- صالح بن رمضان، أدبية النص النثري عند الجاحظ، دار سعيديان للطباعة والنشر والتوزيع، سوسة، تونس، ط1، 1990 م.
- 11- عبد الله صوله ، الحجاج أطره ومنطلقاته، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم" فريق البحث في البلاغة والحجاج ، إشراف حمادي صمود ، كلية الآداب والفنون، منوبة، تونس
- 12- عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2007.
- علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ، التعريفات، تحقيق :محمد صديق المنشاوي، دار الكتب العلمية، ط1، 1403-1983م
- 13- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ولي الدين ، المقدمة ، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013م
- الجاحظ)، مجلة رسائل في الحجاجي والتطبيق، (البناء النظرية بين وهابي، الحجاج لرحيم 14- عبد الخطاب، المغرب، 2010 وتحليل البلاغة
- 15- عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني القارة مصر ، ط 3، 1413 هـ- 1992م
- 16- علي محمد الصلابي، فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ط1، مكتبة الصحابة الإمارات، 4- الشارقة، 2002.
- 17- فان دايك، النص والسياق، تر: عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق ، لبنان، 2000، ص256
- 18- كريمان وفونتاني ، سيمائيات الأهواء: من حالات الأشياء إلى حالات النفس، ترجمة سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديدة، ط1، 2010.
- 19- محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري جمال الدين أبو الفضل ، لسان العرب ، مادة «حجج» إعداد وتصنيف :يوسف خياط، تقديم: الشيخ عبد الله العلايلي ، دار لسان العرب ، بيروت، دت.
- 20- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الاقناعي، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2002م.
- 21- محمد النويري، الأساليب المغالطية مدخلا في نقد الحجاج، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود.
- 22- محمد الولي، البلاغة والحجاج، - <http://saidbengrad.free.fr/al/n5/8.htm>

- 23-ناصر بن دخيل الله فالج السعيد، الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي، رسالة دكتوراه في البلاغة والنقد، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1425-1426هـ، ص 260
- 24-ينظر:هشام الريفى، الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، منوبة، تونس .
- 25-Ruth Amossy, l'argumentation dans le discours ,Amand colin,2 édition ,belgique2006,p138.

الهوامش

- 1-محمد النويري، الأساليب المغالطية مدخلا في نقد الحجاج، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، ص404
- 2-ينظر:هشام الريفى، الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، فرقة البلاغة البحث، كلية الآداب والفنون ،منوبة، تونس، ص 54
- 3- المرجع نفسه ، ص55
- 4-ينظر: رشيد الراضي ،السفسطات في المنطق المعاصرة، التوجه التداولي الجدلي :ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، 2010، ص 200
- 5-رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، دار الكتب الجديدة، ط1، 2010، ص 13
- 6-باتريك شارودو ودومنيك منغونو، معجم تحليل الخطاب ،تر:عبد القادر المهيري وحمادي صمود، دار سينا ترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008، ص521-
- 7- محمد النويري ،الأساليب المغالطية مدخلا في نقد الحجاج ،ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج ، ص 406
- 8-Ruth Amossy, l'argumentation dans le discours ,Amand colin,2 édition,Belgique 2006,p138
- 9- محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري جمال الدين أبو الفضل ،لسان العرب ،مادة «حجج» إعداد وتصنيف يوسف خياط، تقديم: الشيخ عبد الله العلايلي ،دار لسان العرب ،بيروت، دت، م8، ص 363

- 10- علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الكتب العلمية، ط، 1983، 1403م، ص 476
- 11- ابن رشد محمد بن احمد بن محمد، كتاب السفسطة، ضمن كتاب تلخيص منطق أرسطو: تحقيق: جبرار جهامي، بيروت، المجلد 2، 1986، ص 669
- 12- حمو النقاري، من منطق مدرسة برويال في سوء النظر والتناظر ووجوه الغلط والتغليط فيهما، ضمن كتاب التجاح طبيعته ومجالاته، منشورات كلية الآداب، الرباط، المغرب، ص 192
- 13- ناصر بن دخیل الله فالج السعیدی، الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي، رسالة دكتوراه في البلاغة والنقد، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1425-1426هـ، ص 260
- 14- الجاحظ، البيان و التبیین، تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون، دار الجیل، بیروت، لبنان/ (د-ت) ج 1، ص 76
- 15- عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاکر أبو فھر، مطبعة المدنی القارة مصر، ط 1413، 3هـ-1992م، ص 45
- 16- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المقدمة، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013م ص 504
- 17- الجاحظ، الجاحظ، البخلاء تح: طه الحاجري، دار المعارف، ط 7، 1990، ص 15
- 18- عبد الله صوله، الحجاج أطره و منطلقاته، "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم" فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب والفنون، منوبة، تونس ص 317
- 19- المرجع نفسه ، ص 316
- 20- الجاحظ، البخلاء، تح: طه الحاجري، ص 16
- 21- رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، ، ص 252
- 22- الجرجاني، كتاب التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، ص 231
- 23- الجاحظ، كتاب البخلاء ، تح: طه الحاجري ، ص 32-33
- 24- عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط 1، 2007، ص 61
- 25- فان دايك، النص والسياق، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، لبنان، 2000، ص 256
- 26- الجاحظ، البخلاء ، تح: طه الحاجري ، ص 13
- 27- محمد النويري، الأساليب المغالطية مدخلا في نقد الحجاج ، ص 426
- 28- عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، ص 221

- 29 -انظر: عبد الله صوله ،الحجاج أطره ومنطقاته، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم" فريق البحث في البلاغة والحجاج ،إشراف حمادي صمود ص.334
- 30- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه،عالم الكتب الحديث،2008،أربد،الأردن، ط1، 2008 م،ص235
- 31- الجاحظ،البخلاء، تح: طه الحاجري ، ص31-32
- 32-المصدر نفسه ، ص 38
- 33-محمد الولي، البلاغة والحجاج،- <http://saidbengrad.free.fr/al/n5/8.htm>
- 34-علي محمد الصلابي، فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ط1، مكتبة الصحابة الإمارات، 4-الشارقة،2002، ص178
- 35-محمد العمري، في بلاغة الخطاب الاقناعي، إفريقيا الشرق،المغرب، ط2، 2002م. ص90
- 36-باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، تر:أحمد الوردني، ص 16
- 37- الجاحظ، البخلاء، تح: طه الحاجري ، ص119-120
- 38-صالح بن رمضان، أدبية النص النثري عند الجاحظ، دار سعيديان للطباعة والنشر والتوزيع، سوسة، تونس، ط1، 1990 م، ص50
- 39-الجاحظ،البخلاء تح: طه الحاجري ، ص45
- 40-عبد الرحيم وهابي،الحجاج بين النظرية والتطبيق، (البناء الحجاجي في رسائل الجاحظ)،مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، ص125.
- 41- الجاحظ ،البخلاء، تح: طه الحاجري ص 14
- 42-المصدر نفسه، ص 16-15
- 43- سامية الدريدي ،الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، ص205
- 44-كريماس وفوننتاني ،سيمائيات الأهواء: من حالات الأشياء إلى حالات النفس،ترجمة سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديدة، ط1، 2010، ص61
- 45-الجاحظ، البخلاء ،تح: طه الحاجري ، ص14